وقد اخترع الناس كثيرًا مثل هذه الاشياء ولم نتعرض لذكرها اكتفاء بما ذكرنا هنا وفي الوجه ٢٢٤ من السنة الثالثة وانما نريد الآن ذكر اختراع جديد علمًا بما للجديد من الطلاوة وهو دجاجة حديدية صنعها رجل اميركي منذ عهدٍ قريب واحكم صنعها غاية الإحكام فتفوق وتحرك وترمق بعينها السماء حتى تلتبس على السباع والجوارح فتنقضّ عليها وفي الحال ينفتح ظهرها وينتشر جناحاها فيدفعان الكاسر على منشار مسنن يدور الفًا وسبع مئة دورة في الدقيقة فيلقي هامتهُ عن بدنهِ . ثم يعود ظهر الدجاجة فينطبق وجناحاها فينخفضان وتعود الى القوق كانها خرجت من قنها بعدما باضت . وتدوّر الآلات في هذه الدجاجة مرّة فتقتل ثلثة من الكواسر . ولا حرج انها اذا شاع استعمالها باضت لصاحبها ذهبًا ولو كانت حديدًا

المال وعلم الاقتصاد

شاع عند الافرنج منذ عهدٍ قريب علم جليل المطالب جزيل المنافع يسمونهُ علم الاقتصاد السياسي . وقد كتب فيهِ جمهور من نخبة علمائهم وفلاسفتهم وقالوا انهُ مبني على نواميس اساسية وان معرفتهُ لازمة لكل فرد من البشر لانهُ يبحث فيهِ عن اسباب ثروة الامم وغرضهُ تعليم الناس ان يستغنوا ويعيشوا بالراحة . والعلوم التي من شأنها زيادة المال والراحة كثيرة مثل العلوم الآلية والكيمياء والفلك والجيولوجيا والفقه والطب والسياسة ولكن علم الاقتصاد السياسي يبحث عن ماهيَّة المال بالذات وعن كيفية كسبهِ وانفاقهِ فهو من اُمّ العلوم لكل الامم ويجب ان تدرّس مبادئهُ في كل المدارس البسيطة ولا سيما في بلاد قلّت ثروتها واعتاد اهاليها الاسراف مثل بلادنا كما هو راي كثيرين من كبار العلماء والفلاسفة

هذا وقد يظن القارئ لاوّل وهلة ان الناس في غنًى عن ان يعلمهم احد كيف يكسبون المال ويقومون بهِ لانهم كانوا يكسبون وينفقون منذ القِدَم بلا معلّم ولا مرشد ومنهم مَنْ جمع ثروة وافرة وهو لم يسمع اسم هذا العلم . وهذا الاعتراض واهٍ من اصلهِ وان ظهر قويًّا في بادئ الراي لان اكثر العلوم مبنية على معارف متفرقة عرفها الناس بالاختبار منذ عهدٍ قديم ولكن لا خلاف الآن في ان معرفتها لا تغني عن العلوم التي بُنِيت عليها . مثال ذلك ان كل ارباب الفلاحة يعرفون كيف يحرثون الارض ويزرعونها ويروونها ويستغلونها ولكن معرفتهم هذه لا تغنيهم ولا تغني الذين يريدون النجاح التام في هذه الصناعة عن علم الفلاحة الذي جُمعت فيهِ معارف الناس وبُوّبت ابوابًا ورُتّبت احسن ترتيب حتى يسهل على دارسها ان يتعلم في برهة يسيرة ما عرفهُ الناس بالاختبار

مدة قرون كثيرة . وما قيل في علم الفلاحة يقال في اكثر العلوم والفنون ولو نظرية كعلم المنطق والهندسة فان كل عاقل يعرف مبادئ علم المنطق ويعمل بها كل يوم ولكن ذلك لم يغنِ عن وضع هذا العلم وتعلمه

اما علم الاقتصاد فمبادئه غير واضحة واكثر الناس يخالفونها كل يوم ولولا ذلك لكانت احوال البشر اقل تعاسةً مما هي عليه الآن . مثال ذلك ان التصدُّق على المساكين من المبرَّات التي تأمر بها كل الاديان . ومذهب الجمهور ان الصدقة واجبة في كل حال وانه يجب ان نتصدَّق على المساكين مطلقًا غير سائلين عن نفع الصدقة لهم او ضررها بهم . ولكن لدى البحث والتروي وُجد ان الصدقات التي تُعطَى على هذا النمط تكثر المساكين ولا تخفف كربهم بل ان اكثر ما نراهُ في ايامنا من المسكنة والجرائم ناتج عن اعطاء الصدقات لقوم لا يستحقونها فزاد بها كسلهم وشرهم وكثر المتقدون بهم من ولدهم ومن غير ولدهم . ولذلك ترى علم الاقتصاد يوجب على الناس ان يهذِّبوا الفقراء ويعلموهم ليعملوا بايديهم ويكتسبوا معيشتهم ويقتصدوا في نفقاتهم ويدخروا مما يكسبون شيئًا يسد عوزهم ايام المرض والشيخوخة . وان لم يتعلموا بل بقوا عالةً على الناس واصرُّوا على كسلهم لحسبانهم ان التسوُّل "بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب صافي المشرب" كما قال بعضهم استحقوا جزاء ما جنت ايديهم . وقد يظن البعض ان هذا العلم ينزع الشفقة من قلوب الناس ويزيد الاغنياء غنًى والفقراء فقرًا والصحيح انه يوجب على الاغنياء ان لا يذخروا المال كما يفعل البخلاء ولا يبذروهُ كما يفعل المسرفون بل ان يعتدلوا بين الطرفين فيعطوا عندما يجب العطاء ويمنعوا عندما يجب المنع وينشئوا الاندية العمومية من مثل المدارس والمكاتب والمتاحف والحدائق والمستشفيات ويعلموا اولاد الفقراء ويساعدوا الذين اصابتهم مصائب لا يستطيعون دفعها كالكسح والعمى ونحوهما من البلايا التي يستحق صاحبها الصدقة . فعلم الاقتصاد يوجب الصدقة اذا نفعت المتصدَّق عليهم ولم تضرهم ولذلك كانت اكثر الاموال التي يتصدَّق بها على الشحاذين ليست من الصدقة الحقيقية في شيء بل هي خسائر يخسرها المتصدقون ويضرُّون بها المتصدَّق عليهم ويكثرون شرورهم

ومن المقرَّر ان الناس اذا جهلوا مبادئ علم الاقتصاد الحقيقية جروا على مبادئ فاسدة اضرَّت بهم وببلادهم ضررًا جسيمًا ولذلك يجب ان يكون للكل الملم ببعض المبادئ التي سنقرِّرها في الفصول التالية . واذ قد تمهَّد ذلك نشرع في موضوع هذا الفصل وهو المال فنقول

يظن البعض ان المتموِّل مَنْ يكون في صندوقهِ كثير من الدراهم والدنانير . وذلك ليس بصحيح لان المتموِّلين لا يوجد في صناديقهم غالبًا نقود ذهبية وفضية بل اوراق من اوراق الصيارف . وهذه الاوراق لا تُحسَب لها قيمتها الحقيقية ما لم يكن الصيارف في احوال معلومة من الأمن والربح . ويظن

قيل في الهواء يقال في ماء المطر وماء الانهار الكثيرة المدد الفائضة عن احتياج الاهالي . واذ كان الشيء قليل الكمية عدّ مالاً ولو كانت منفعتهُ قليلة كالذهب والالماس فان الذهب لو وجد بكثرة كالحديد لكان الحديد اغلى منهُ ثمنًا لانهُ اكثر منهُ نفعًا والالماس لو وجد بكثرة كالزجاج لما تباهى بهِ احد من الناس

الشرط الثالث للمال ان يكون نافعًا ويراد بالنفع هنا جلب اللذة ودفع الالم. فالآلة الموسيقية تعدُّ مالاً لانها تجلب اللذة والدواء لانهُ يدفع الالم والطعام لانهُ يجلب اللذة ويدفع الالم . ولا فرق في حصول المنفعة من الشيء او بهِ فالطحنة لا تلذ للذي يراها ولا تدفع عنهُ المَا ولكنها تطحن الطحين الذي يصير خبزًا يجلب اللذة ويدفع الالم . وقد جرت العادة عند علماء هذا الفن ان يسموا كل شيء من الاشياء التي يطلق عليها اسم المال متاعًا . فالصوف والقطن والحديد والكتب كلها امتعة في احوال معلومة وغير امتعة او غير اموال في احوال أُخرى لان الصوف الذي على شاة نادّة في جبل بعيد عن السكان ليس متاعًا اذ لا ينتفع بهِ احد من الناس . والحديد الذي في معدن عميق لا يصل اليهِ احد ليس متاعًا ايضًا

ولدى التأمُّل يظهر ان الانسان لا يحتاج الاَّ قليلاً من كل متاع وانهُ يفضّل ان يتملك قليلاً من هذا وقليلاً من ذاك على ان تكون اكثر قنيتهِ من متاع واحد . فما من احد يجب ان يقتصر على اكل الخبز دائمًا بل يطلب ان يأكل معهُ لحمًا وفاكهةً . وما من احد يحيط حللاً كثيرة من نوع واحد وشكل واحد بل يجعل بعضها رقيقًا وبعضها سميكًا لمناسبة الحرّ والبرد . وما من احد يجمع مكتبة من كتاب واحد بل من كتب متفرقة متنوّعة . ونتج من ذلك كلهِ ان حاجات الانسان متنوعة وانهُ لا يحتاج الاَّ القليل من كل شيء وهذا هو المسمّى عندهم بناموس التنويع وهو من اجلّ نواميس علم الاقتصاد

وحاجات الناس متباينة في اللزوم الزمها الهواء ثم الطعام والشراب ثم اللباس ثم المأوى ثم الاثاث على انواعهِ . وكل حاجة من هذه الحاجات تتدرّج على اطوار متفاوتة فاذا لم يكن للانسان شيء من الطعام اكتفى بالخبز وطاب بهِ نفسًا واذا شبع من الخبز تاقت نفسهُ الى اللحم والفاكهة وهلمَّ جرًّا . ثم تنزع الى طلب اللباس فان لم يكن لهُ شيء منهُ اكتفى بالساذج البسيط ثم رغب في ما هو اثمن منهُ واجمل . ثم يطلب المأوى ويتدرّج من الخيمة الى الكوخ الى البيت الى القصر وقد يبني لسكناهُ قصرين او اكثر كما هو شأن الملوك والشرفاء . ثم اذا بنى بيتًا اخذ في تأثيثهِ وتدرّج في ذلك من امتعة الحجر والخشب الى امتعة الفضة والذهب والحجارة الكريمة ومن القطن والصوف الى السندس والاستبرق . ولذلك قد ترتبت حاجات الانسان بحسب لزومها لهُ وتدرّجهِ اليها هكذا :

البعض الآخر ان المتموّل مَنْ يملك عقارًا كثيرًا وهذا ايضًا ليس بصحيح لان العقار قد يكون ثمينًا كثير الريع وقد يكون عاطلاً لا ثمن له ولا ريع . ويظن غيرهم ان المتموّل مَن يملك ارضًا فسيحة انهارها وبحيراتها ملأى بالاسماك وجبالها ووهادها بالاشجار وفيها معادن كثيرة من الفحم والحديد والذهب والفضة وهي طيبة الهواء معتدلة الاقليم . والصحيح ان هذه المذكورات لا تغني مالكها ولو اعتبرت غنى طبيعيًا . ألا ترى ان اهالي اميركا الاصليين كانوا يملكون اجود الاراضي واخصبها واوفرها غنى وهم في حالة يرثى لها من الفقر والمسكنة في ما ان اهالي هولندا صاروا من اكثر الناس تموّلاً باجتهادهم واقتصادهم وهم لا يملكون الاَّ ارضًا ضيقة جدباء . فالتموّل يتوقف على الاجتهاد اكثر مما يتوقف على البلاد . أَوَيخفى على القارئ اللبيب ان سهول سورية الفسيحة كانت تقوت وقتًا ما نيفًا وعشرة ملايين من السكان وهي الآن تقصّر عن حاجات اهاليها ولو قاموا عن المليونين . وان وادي النيل الخصيب كان يفضل عن احتياج ملايين كثيرة من السكان ويطمر بخيراته بلاد الرومان ايضًا . والبلاد لم تتغيّر ولكن تغيّرت الناس وتغيرت شؤونهم

اما المال فقد حدّهُ سينور المشهور بعلم الاقتصاد بانهُ "الاشياء المنتقلة المحدودة الكمية التي تجلب اللذة او تدفع الالم" وهذه الشروط الثلاثة لازمة لكل ما يُدعى مالاً فلا يدعى شيء ما مالاً الاَّ اذا امكن نقله من شخص الى آخر وكانت كميتهُ محدودة وكان نافعًا (اي جالبًا للذة او دافعًا الالم) وها نحن نشرح كلاًّ من هذه الشروط على حدتهِ

يراد بالمنتقل ما يمكن انتقالهُ من شخص الى آخر حقيقةً كالكتاب والرداء او حكمًا بحجةٍ كالدار والحقل او بمقاولةٍ كخدمة الخادم وعلم المعلم . وهذا الشرط يخرج امورًا كثيرة مرغوبةً فيها كالصحة والمحبة والاكرام ولكنهُ لا ينفي وجودها في المتموّلين . فالمال ليس كل ما يرغب فيهِ الانسان ولكنهُ ممّا يرغب فيهِ لانهُ يريحهُ من التعب اذا اراد ويمكّنهُ من اتباع ما يسرهُ ويرضيهِ ممّا يمكن ابتياعهُ . هذا هو الشرط الاوّل واما الشرط الثاني وهو ان المال يجب ان يكون محدود الكمية فيتضح من انهُ اذا كان لكل انسان كل ما يحتاج اليهِ من شيء من الاشياء فلا يعتبر ما زاد عن احتياجهِ من ذلك الشيء مالاً مهما كان لازمًا في ذاتهِ . مثال ذلك ان الهواء من ألزم الاشياء وانفعها ولكنهُ لا يُعَدُّ مالاً في الاحوال العاديّة لانهُ غير محدود الكمية اي لان كل انسان حاصل على ما يحتاجهُ منهُ . ولذلك لا يباع ولا يشترى ولا يحسب قنية . واما اذا كان الانسان حيث لا يصل اليهِ الاَّ مقدار محدود من الهواء كما اذا كان في ناقوس الغواصين او في المناجم العميقة صار الهواء مالاً يباع ويشترى ويبذل في الحصول عليهِ الدرهم والدينار . بل ان اهالي المدن المزدحمة السكان قد يشترون من جيرانهم حق فتح كوة تطل على اراضيهم ليأتيهم الهواء النقي منها فكأنهم اشتروا الهواء النقي نفسهُ . وما

الهواء فالطعام والشراب فاللباس فالمأوى فالاثاث . ويُسمَّى هذا الترتيب ناموس تدرُّج الحاجات

وغنيٌّ عن البيان ان حاجات الناس لا حدَّ لها من جهة العدد وان تكن كل واحدة منها محدودة من جهة الكمية ولذلك لا يصح قول مَن قال

لو يجمع الله ما في الارض قاطبةً عند امرء لم يقل حسبي فلا تزدِ

عند التخصيص وان صحَّ عند التعميم . فاذا اقتصر احد على ازدراع الحنطة وكثرت حنطته حتى فاضت عمَّا يمكنه ان يأكله او يبيعه فما فاض منها عُدَّ في حكم المعدوم اذ لا فائدة منه وقس على ذلك اكثر الاصناف التي تتلف اذا طال عليها الزمان . ولكن الاختبار والضرورة قد علَّما الناس ان لا يقصروا مالهم على صنف واحد . فاذا كثر زارعو القمح حتى زاد عن المطلوب عدل بعض الزارعين عن زرعه وزرعوا صنفاً آخر واذا كثر السكافون حتى صارت الاحذية اكثر من المطلوب عدل بعضهم عن السكافة الى حرفةٍ أُخرى . وكذا في بقية الاعمال والحرف . وهذه القاعدة غير مرعيَّة الارعاء التام في بلادنا وغيرها من البلدان الشرقية فان اهل حوران يزرعون القمح ولو اضطرُّوا ان يحرقوهُ في آخر العام وعرب البادية يقتصرون على النَّعَم ولو فاضت بها الصحراء ولذلك كان من اوَّل اغراض علم الاقتصاد ان يعلم الناس ان لا يقصدوا الاَّ ما ينفعهم وان يسدوا حاجاتهم المختلفة على اسهل سبيل وهذا لا يتمُّ لهم الاَّ اذا علموا انهُ لا حاجة لشيء زائد عن الحاجة . فالتجار يجب ان يكثر من الكراسي ويقلل من الموائد (اي الخواوين) لا ان يكثر من الموائد ويقلل من الكراسي لان كثرة الموائد مع قلة الكراسي خسارة بلا نفع . واذا علموا ايضاً ان يعتمدوا على كل واسطة تقلل التعب ولذلك حدَّهُ الاستاذ هرن بانهُ علم الوسائط لسد الحاجات على اخصر طريق واسهل اسلوب

تخفيف اضرار التبغ

من مقالة للدكتور فلكس برمون نشرت في جرنال الهيجيين الفرنسوي

اليكم ايها المدخنون يساق الكلام لعلي أُخفِّف عنكم اضرار التدخين وان لم يكن لي في زوالها مطمع . ولو اتبعتُ قانون الصحة لحتمتُ عليكم بالامتناع التام عن التدخين . ولكن هيهات ان ارى لي منكم مجيباً وكلكم قد استعبد للتبغ وحلف على ولائهِ ولو ودَّ لو لم يلمسهُ قط . ولا أُخفي عنكم اني أُفضِّل التدخين على الطعام واصدِّق ما رواهُ احد الرواة عن الاب شوين مدير حديقة الملك لويس فيليب فقد روى ان الملك قال لهُ ذات يوم أتدخَّن في حضرة الملكة والاميرات ايضاً فقال شوين اذا لم ترتضِ جلالتك بذلك فلا بدَّ لي من الاستعفاء من خدمتك وربما متُّ كمدًا